مؤلفات العلامة ابن طولون «١»

دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

للشيخ العلامة

محمد بن علي ابن طولون

الدمشقي الصالحي الحنفي

ت ٩٥٣هـ

تحقيق

د.إياد العكيلي

غفر الله له وللمؤمنين والمؤمنات



دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

للشيخ العلامة

محمد بن علي ابن طولون

الدمشقي الصالحي الحنفي

تـ : ٩٥٣هـ

تحقيق

د. إياد العكيلي

غفر الله له وللمؤمنين والمؤمنات

العنوان: دفع الباس في ترك مصاحبة الناس.

المؤلف: محمد بن علي ابن طولون الدمشقي الصالحي.

تحقيق: د. إياد العكيلي

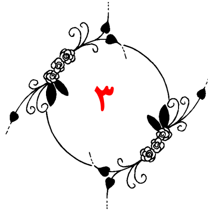
التنسيق الداخلي: أسامة البُتُّه – ٩٦٦٧ ٧١١٩١٤٠٦٠

الطبعة: الأولى.

سنة النشر: ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م.

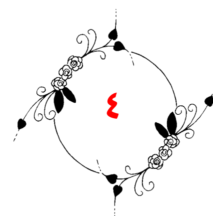
المقاس: ١٤ × ٢٠

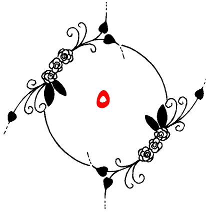
عدد الصفحات: ٤٣ صفحة.




بسم الله الرحمن الرحيم




٤



مُقدِّمةُ المُحقق

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين، **وبعد:**

فهذا أحد الكتب التراثية المؤلَّفة في أدب العزلة عن الناس، سمّاه مؤلفه العلّامة **محمد بن علي ابن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي** (ت: ٩٥٣هـ): «**دفع الباس في ترك مصاحبة الناس**».

وقد أُلِفت عدة كتب في هذا الأدب الرفيع من أشهرها وأقدمها -مما طُبع-:

- **العزلة والانفراد**، للإمام الحافظ ابن أبي الدنيا (٢٨١ هـ).
- **العزلة**، للإمام الخطابي (٣٨٨ هـ).
- **العزلة**، للعلامة ابن الوزير (٨٤٠ هـ).

وثمة رسالة «ماجستير» بعنوان: «**العزلة بين السنة والبدعة**»، لمائدة العباسي.

هـذا وإنَّ **العزلـة والاخـتلاط مـع النـاس** «مـن الأمـور النسـبيّة التـي تختلـف خيريَّتهـا بـاختلاف الأشـخاص، والأزمان، والأمكنة»[(١)].

قال شـيخ الإسـلام **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فاختيارُ المخالطة مطلقًا خطأٌ، واختيار الانفراد مطلقًا خطأٌ، وأمَّا مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا وما هو الأصلح له في كل حال فهذا يحتاج إلى نظر خاص**»[(٢)].

والمؤلـف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هـذا الكتـاب أطلـق القـولَ في المسـألة، ونحـا منحـىً عامـًا في تأييـد الفكـرة بـاعتزال النـاس وتـرك خلطـتهم؛ كمـا هـو ظـاهرٌ في عنـوان الكتـاب، ومنهجيَّتِـه في نقـل الشـواهد مـن السـنة وأقـوال السلف والأشعار التي تُعزّز هذا المبدأ.

وقد خالف بذلك العلماء الذين ألّفوا في هذا الموضـوع حيث فصّـلوا في الحالات التي تجوز فيها العزلة، والتي لا تجوز، وذكروا الضوابط لمثل هذه الحالات، فقنَّنوا المسألة

(١) ذخيرة العقبى (٢٦/ ١٣٣)، والبحر المحيط الثجاج (٣٢/ ٤٥١) للإثيوبي.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٢٦)، وقد فصَّـلتُ الكلام حول هذا الموضـوع في تحقيقي لكتاب أبي الحسن البكري: (شرف الفقراء وبيان أنّهم الأمراء، ص١٥٢).

بما يتَّضح فيها القول، وتشملها الحالات على اختلافها وتباين أحوالها، فيهتدي القارئ بذلك إلى جادة الصواب والإنصاف، بعيداً عن التعسّف والاعتساف(١).

ولم ألحظ في منهجيّة الكتاب ما يُشاد بذكره في هذه المقدمة ممّا يسترعي الملاحظة والانتباه، **فالمؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان عمله قاصراً على الجمع والنقل.

وعلى كلّ حال «قد كثر اختلاف الناس في مفاضلة التفرّد والاختلاط، فبعضهم آثر التفرد عن الناس، وبعضهم آثر الاختلاط بهم، وقد أورد كل واحد في مذهبه أخباراً وآثاراً؛ وذلك بسبب اختلاف نظرهما وابتلاء أحدهما بمصاحبة من لم تُحمد مصاحبته، ومصاحبة الآخر من تُحمد صحبته، والأصل أن اجتماع الناس بعضهم مع بعض أمر ضروري لتعلّق أمور بعضهم ببعض ... فالناس لا يستغني بعضهم عن بعض ما داموا أحياء، ثم في المعاشرة والتفرّد عن الأخيار الذين يُفيدونك ويعينونك ولا يؤذونك مكروه،

---

(١) جاء في لسان العرب لابن منظور (٩/ ٢٤٥): «العَسْفُ: السير بغير هداية، والأخذ على غير الطريق، وكذلك التعسُّف والاعتساف».

سيما إذا لم تدرب في الفضل، ولم تستغنِ عن اقتباس العلم، وأما عن الأنذال الذين يُتدنَّس بمصاحبتهم فمحمود»[١].

وخلاصة القول ما ذكره **الإمام الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة كتابه –العزلة– بقوله: «**فإنَّ الإغراق في كل شـــيء مذموم، وخير الأمور أوسطها، والحسنة بين السيئتين .... والطريقة المثلى في هذا الباب: أن لا تمتنع من حقٍّ يَلزمك للناس وإن لم يطالبوك به، وأن لا تنهمك لهم في باطلٍ لا يجب عليك وإن دعوك إليه، فإنَّ من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه، ومن انحلَّ في الباطل جمد عن الحق، فكن مع الناس في الخير، وكن بمعزل عنهم في الشـــر، وتوخَّ أن تكون فيهم شـــاهداً كغائب، وعالمًا كجاهل**»[٢].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني، (ص: ٢٥٩).
(٢) (ص: ٢٣٦).

وصف المخطوطة وبيان منهج تحقيقها

هذه المخطوطة كُتبت بخطِّ مؤلِّفها المشهور، وجاء في طُرَّتها ما نصُّه: «**دفع الباس في ترك مصاحبة الناس، تأليف الشيخ الرحلة المحدث شمس الدين محمد بن علي ابن طولون الدمشقي الصالحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**».

وعنونها في مقدِّمته بذلك، وقد أثبتها بنفسه في ثبت مؤلفاته تحت حرف الدَّال[1]، كما أثبتها له **الزركلي**[2]، وصاحبا معجم التاريخ «**التراث الإسلامي في مكتبات العالم - المخطوطات والمطبوعات**»[3].

والمخطوطة من **خمسِ صفحاتٍ**، في كل صفحةٍ (**٢٣**) سطراً، وهي من محفوظات مكتبة تشستربيتي بإيرلندا، برقم ٣٤٨٥ م.ك.مجـ١.

وأهم ما يتلخَّصُ عملي فيها: أنْ قمتُ بنسخها، وتخريج أحاديثها وآثارها، والحكم عليها، كما قمتُ بعزو نقولاتها

(١) الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون، ت: محمد خير رمضان يوسف، (ص: ١٠٣)، وقد نصَّ المحقِّقُ على أنَّها بخطِّه.
(٢) الأعلام (٦/ ٢٩١).
(٣) لعلي الرضا وأحمد طوران (٤/ ٢٩٧٣).

من الأقوال والأشعار، والتعليق عليها بشرح غريب، أو ذكر فائدة، أو تقويم لفظ، أو ضبط وزن -على وجه الاختصار-.

والله أسأل أن ينفع بهذه الرسالة، وأن يتقبَّل منِّي ما قدَّمتُ من عمل، وأن يمنحني حسن الختام عند انتهاء الأجل، إنّه سميعٌ مجيب،،،

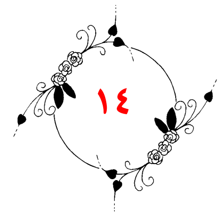
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

صفحة عنوان المخطوطة

دفع الباس في ترك مصاحبة الناس
تاليف الشيخ الرحلة المحدث شمس الدين
محمد بن علي ابن طولون
الدمشقي الصالحي
رحمه الله
آمين

الصفحة الأولى من المخطوطة

الصفحة الأخيرة من المخطوطة


١٤

النصُّ المحقَّقُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الأجلِّ في ذاته، المنفردِ بصفاته، تعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً، والصلاة على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيراً،

وبعد:

فهذا تعليق سمَّيتُه: «**دفع الباس في ترك مصاحبة الناس**»، وهو ما روى ابن عدي من حديث أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «**وجدتُ الناسَ اخْبُرْ تَقْلُهْ**»، وسنده ضعيف، وأخرجه الطبراني وأبو يعلى وأبو نعيم من حديثه، وروي من كلام علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ موقوفًا[١].

وروى **البيهقي** من كلام مطرِّف بن عبد الله: «**احْتَرِسُوا مِنَ النَّاسِ بِسُوءِ الظَّنِّ**»، قال **البيهقي**: «يروى نحوه عن أنس

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٢/ ٢١٠)، ومسند الشاميين للطبراني (١٤٩٣)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ١٥٤)، وهو ضعيف كما قال المؤلف، ضعّفه ابن عدي كما تقدّم، والبزار في مسنده (١٠/ ٤٠)، وانظر: الضعيفة للألباني (٢١١٠)، ولم أجده عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، **والقلى**: البغض، قال ابن قتيبة في معناه (غريب الحديث: ٢/ ٥٩٦): «يُريد: إنك اذا أخبرتهم وتعرفت أمرهم قليتهم» أي: أبغضتهم.

مرفوعـًا»[(١)]، قال الجلال السيوطي: «أخرجه الطبراني في الأوسط»[(٢)].

---

(١) سنن البيهقي (٢٠٤٤٤).

(٢) أي من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعـًا (٥٩٨ و ٩٤٥٨)، ومن جميل ما ذُكر في معناه ما قاله سـهل التُسـتري لمّا سـئل عنه (تفسـير التسـتري: ص ١٥٠): «معنى هذا: بسـوء الظن بنفسك لا بالناس، أي اتّهم نفسك بأنك لا تنصفهم من نفسك في معاملاتهم»، وأسنده ابن أبي الدنيا عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعـًا (مداراة الناس: ص٩٨) تحت باب: الحذر من الناس اتّقاء شـرهم والمداراة لهم، والحديث ضـعّفه ابن عدي (الكامل في الضـعفاء: ٨/ ١٤١)، والذهبي (ميزان الاعتدال: ٤/ ١٣٩)، وابن حجر (فتح الباري: ١٠/ ٥٣١) إلا أنه قال: «وصـحَّ من قول مطرف التابعي الكبير أخرجه مُسَـدّد»، والألباني (الضـعيفة: ١٥٦ وقال رَحِمَهُٱللَّهُ عقب تخريجه: «ثم إن الحديث منكر عندي لمخالفته للأحاديث الكثيرة التي يأمر النبي ﷺ فيها المسـلمين بأن لا يسـيئوا الظن بإخوانهم، منها قوله ﷺ: «إيّاكم والظن؛ فإنَّ الظن أكذب الحديث ...» رواه البخاري (١٠ / ٣٩٥ - ٣٩٨) وغيره، وهو مخرج في (غاية المرام: (٤١٧)، ثم إنه لا يمكن التعامل مع الناس على أساس سوء الظن بهم، فكيف يُعقل أن يأمر ﷺ أمته أن يتعاملوا على هذا الأسـاس الباطل؟!»، قال ابن عثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ (تفسـير الحجرات إلى الحديد: ص٤٨): يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ﴾[الحجرات:١٢]، الظن: هو أن يكون لدى الإنسـان احتمالان يترجّح أحدهما على الآخر، وهنا عبر الله تعالى بقوله: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ ولم يقل: «اجتنبوا الظن كله»؛ لأن الظن ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ظن خير بالإنسان، وهذا مطلوب أن تظن بإخوانك خيراً ما داموا أهلاً لذلك، وهو المسـلم الذي ظاهره العدالة، فإن هذا يُظن به خيراً، ويُثنى عليه بما ظهر لنا من إسلامه وأعماله.

القسم الثاني: ظن السوء، وهذا يحرم بالنسبة لمسلم ظاهره العدالة، فإنه لا يحل أن يُظنَّ به ظن السوء، كما صرح بذلك العلماء، فقالوا رحمهمً الله : «يحرم ظن السوء بمسلم ظاهره العدالة، أما ظن السوء بمن قامت القرينة على أنه أهل لذلك، فهذا لا حرج على الإنسان أن يظن السـوء به، ولهذا من الأمثال المضـروبة السـائرة: «احترسـوا من الناس بسـوء الظن»، ولكن هذا ليس على إطلاقه، كما هو معلوم، وإنما المراد: احترسـوا من الناس الذين هم أهل لظن السـوء فلا تثقوا بهم»، وانظر: (الشـرح الممتع له: ٥/ ٣٠١، وشـرح ذي الجلال والإكرام له أيضـًا: ٣/ ٣٣١).

وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق محمود بن محمد بن الفضل الرافقي، عن الفريابي، عن الأوزاعي، عن حسّان بن عطية، عن طاوس، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «من حسَّن ظنَّه بالناس كَثُرت ندامتُه»(١).

وروي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «نِعمَ صومعةُ المؤمنِ بيتُهُ يكفُّ فيه سمعَهُ وبصرَهُ وقلبَهُ ولسانَهُ ويدَهُ»(٢).

وقيل لبعض العُبَّاد: ما أصبرَك على الوَحْدَةِ؟ قال: «أنا جليس الربِّ، إن شئتُ أن يناجيَني قرأتُ كتابه، وإنْ شئتُ أن أناجيَه صليتُ»(٣).

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٧/ ١٢٦)، والفوائد لتمَّام (١١٨٨)، وقد سقط من المخطوط: الراوي بين الرافقي والفريابي وهو أحمد بن أبي غانم الرافقي، كما في المرجعين.
والحديث ضعَّفه الألباني (الضعيفة: ١١٥٢، وقال عقب تخريجه: «والحديث مع ضعف سنده فإنه باطل عندي؛ لأنَّه يتضمن الحض على إساءة الظن بالناس، وهذا خلاف المقرر في الشرع أنَّ الأصل إحسان الظن بهم»، وجاسم الفهيد الدوسري (الروض البسام بتخريج وترتيب فوائد تمام: ١١٦٨).

(٢) مسند الشهاب للقضاعي (١٣٢٢)، وأمالي الشجري بترتيب العبشمي (٢١٨٥ و٢١٨٦)، وضعّفه أبو إسحاق الحويني؛ إلا أنَّه صحَّح وقفه على أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (الفتاوى الحديثية: ٣٠٧)، وقال السخاوي (المقاصد الحسنة: ١٢٥٨): «وله شواهد كثيرة، منها: قوله ﷺ لبعض أصحابه: «كن حلسًا من أحلاس بيوتك»، وفي لفظ: «الزم بيتك»، وصنف ابن البنا جزءاً في السكوت ولزوم البيوت».

(٣) غُرَرُ الخصائص الواضحة وعُرَرُ النقائص الفاضحة لمحمد بن إبراهيم الكتُبي المعروف بالوطواط بتحقيق د. محمد عبد الله قاسم (٢/ ١٠٧٠)، الباب السادس عشر: في العزلة، وما سيأتي من أقوال أو أشعار تجدها فيه، إلا ما سأعزوه لغيره، وقد برع المحقق -جزاه الله خيراً- بضبط ألفاظه وتوثيق نقولاته، فمن أراد فليرجع إليه، ولذا ما أثقلتُ الحواشي بذكر الفروقات وعزو النقولات إلا ما أرتأيتُ ذكره، والله الموفق.

وقال ذو النون المصري: «الأُنس بالله نورٌ ساطعٌ، والأُنسُ بالخَلْقِ غمٌّ واقعٌ».

وقالوا: «ما استغنى أحدٌ بالله إلا وافتقر الناس إليه».

وقال بعض الحكماء: «الأُنسُ بالله من حُبِّه لك، فإنَّ الله إذا أحبَّ عبداً أوحشَه من خَلْقِهِ».

وقال سفيانُ الثوري للحسنِ البصري: «دُلَّني على من أجلس إليه، قال: تلك ضالَّةٌ لا توجد».

وقال بعض الحكماء: «الوَحْشةُ من الناس على قدر المعرفة بهم».

وقال المأمون لمّا سمع أبا العتاهية يُنشد:

وإنّي لمُشْتاقٌ إلى ظِلّ صاحِبٍ يَرُوقُ وَيَصفُو، إنْ كدِرْتُ علَيْهِ

خُذْ منّي الخلافة، وأعطني هذا الصاحب.

وقال[١] وهيب بن الورد: «صحبتُ النَّاسَ منذ خمسين سنة، فما وجدتُ رجلاً غفر لي زلَّة[٢]، ولا أقالني عثرة، ولا ستر لي عورة».

---

(١) تكرَّرت في المخطوط «وقال».

(٢) في الغرر عقبها (٢/ ١٠٧٧): «ولا أراح لي غُلَّةً».

وقيل لبعضهم: «مَن أبعدُ الناسِ سفراً؟ قال: من كان في طلب صديقٍ صادق يكون له عونـًا على مهمّاته، وغوثـًا في مُلمَّاته».

وقال علي بن عبيد(١):

ما تطعمتُ لذَّةَ العيشِ حتى ... صرتُ في وَحْدتي لكُتْبي جليسا
ليس شيء أجل عندي من نَفْـ ... ـسِي فلا أبتغِ سِوَاها أنيسا
إنَّما الذُّلُّ في مداخلةِ النَّا ... سِ فَدَعْها وعِشْ كريمـًا رئيسا

وقال أبو محمد الناشئ:

سَمِعنا بالصَّديقِ وما نراه ... على التَّحقيق يوجدُ في الأنامِ
وأحسَبُهُ مُحَالاً نمَّقوه ... على وجهِ المجازِ من الكلامِ

وقال آخر:

لك الخيرُ ما في الناس من هو منصفٌ ... وكلُّ ودادٍ فهْوَ منهمْ تكلُّفُ
وكلٌّ وإنْ عاهدتَه فهْو ناقضٌ ... لعهدٍ وإنْ واعَدْتَه فهْو مُخْلِفُ
وأبناءُ هذا الدهر كالدَّهرِ لم يَثِقْ ... بِهِ وَبِهِمْ إلا جَهولٌ مُسوِّفُ

وقال الشيخ عبد العزيز الديريني:

تجنَّبْ قرينَ السوء واصْرِمِ حبالَه ... وإن لم تجدْ عنهُ مَحِيصـًا فدارِه
وأحببْ قرينَ الصدقِ واترك مراءَه ... تنلْ منه صفوَ الودِّ ما لمْ تُمَارِه

(١) في الغرر (٢/ ١٠٧٩): لعلي بن عبد العزيز الجرجاني.

ومن يطلب المعروفَ من غير أهله | يجـدْهُ وراءَ البحر أو في قرارِه
ولله في عرضِ السَّـمـاوات جنّة | ولكنَّهـا محفوفةٌ بـالمكـارِه[(١)]

و**لبعضهم**:

أُلَامُ على التفرُّدِ كـلَّ وقـتٍ | ولِـي فـيمـا أُلامُ عـليـهِ عُـذْرُ
فكـلُّ أذًى فمصـبورٌ عليـهِ | وليس على قرينِ السـوءِ صـبرُ

وقال الشيخ **شهاب الدين بن رسلان**:

اغسـلْ يديك من الزَّمانِ وأهله | واهجرْ بَنِيه تَفُزْ بقلَّةِ ضَـيره
فلقد صـحبتُ فما وجدت موافقًا | أصـحبه في الله ولا في غيره[(٢)]

و**قد قالوا**: «استعذ من شرار الناس، وكُن من خيارهم على حذر»[(٣)].

---

(١) في الغرر (٢/ ١٠٨٣) البيتان الأول والثالث فقط، وهي بتمامها -على اختلاف ألفاظها- في تنبيه الغافلين للسمرقندي (ص ٦٩) غير منسوبة لقائلها.

(٢) ثبت الكواكب الزاهرة لابن عوض المقدسي، ص: ١٤٤.

(٣) جاء في هامش الصفحة الأولى من المخطوطة: «قلتُ: ومما يُناسب ذلك قولي بدمشق في سنة تسعين وتسعمائة:

أوصـيك أوصـيك فاقبلْ ما أُقرِّرُهُ | فقد نصـحتُك خِلِّي نُصْـحَ مختبِر
لا تـركـنَنَّ إلى من لـيس تعـرفه | ومن عرفـتَ فكن منه على حـذر

وكتبه ناظمه **الحسن الشامي**».

وهو الحسـن بن محمد البوريني الدمشـقي الشـامي، انظر ترجمته مع البيتين - على اختلاف الألفاظ-: (خلاصة الأثر للمحبي: ٢/ ٥١)، والظاهر أنّه قرأ هذا الكتاب وأتحفنا بهذه الفائدة اللطيفة.

وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان الناس ورقًا لا شوك فيه، فصاروا شوكًا لا ورق فيه»(١).

و**لبعضهم**:

لم يبقَ في الناسِ إلا الشوكُ والمَلَقُ ... شوكًا إذا لُمِسُوا زَهْراً إذا رُمقوا
فإنْ دعاك إلى إيلافهم قدرٌ(٢) ... فكن جحيمًا لعل الشوك يحترق

و**رأيتُ بعضهم يقوله**: «فكن حليمًا بدل جحيمًا».

وقال **بعض الحكماء**: «احذر الناس؛ فما ركِبوا بعيراً إلا أدبروه، ولا ظهر جوادٍ إلا عقروه، ولا قلب مؤمن إلا خرَّبوه».

ووصف بعض البلغاء إخوانًا له **فقال**: «أحظى الناس لديهم من أحسن إليهم، فإن قصَّر عنهم رفضوه، وبغضوه،

---

(١) الجامع في الحديث لابن وهب: ٤١٦، ونصّه فيه: «أَدْرَكْتُ النَّاسَ وَرَقًا لَا شَوْكَ فِيهِ، فَهُمُ الْيَوْمَ شَوْكٌ لَا وَرَقَ فِيهِ، إِنْ نَقَدْتَهُمْ وَإِنْ تَرَكْتَهُمْ لَمْ يُبْرِئُوكَ»، ولا يصح ففي سنده انقطاع، وورد نحوه مرفوعًا ولكنّه لا يثبت (الضعيفة: ٥٦٣٧): «الناسُ كشَجَرَةٍ ذاتِ جَنْي، ويوشك أن يَعُودوا كشجرةٍ ذاتِ شَوْك؛ إن ناقدتَهُم ناقَدُوك، وإن تركتهم لم يتركُوك، وإنْ هربت منهم طلَبُوك. قالوا: وكيف المخرجُ مِنْ ذلك؟ قال: تُقْرِضهم عِرْضَك ليوم فَقْرِك».

(٢) وفي المخطوطة: «فإن دعاك يومًا أمر لصحبتهم»، والمُثبت من الغرر وغيره من المراجع، وهو الصواب.

وتركوه، ووتروه[١]، ولم يعذروه، إن حضروا داهنوا، وإن غابوا شاحنوا، ينطوون على الإحَنِ[٢]، ولا يَرْثُون للمُمْتَحَنِ، إن رأوا خيراً دفنوه، وإن ظنوا شرًّا أعلنوه، الواثق بهم على غَرَرٍ، والمتمسّك بهم على خطرٍ، إذا اختبرتَهم تكشّفوا، وإن اعتبرتَهم تزيّفوا».

وقال **الزمخشري**:

تساوى أهلُ دهرِكَ في المساوِي ... فما يُرْجَون للأمرِ النَّجيحِ
وصار الناس كلَّهمُ غثاء ... فما يَستحسنون سوى القبيحِ
وأضحى الجودُ عندهُمُ جنونًا ... فما يستعقِلون سوى الشَّحيحِ
وكانوا يغضبون من الأهاجِي ... فصاروا يغضبون من المديحِ[٣]

ولقد أحسن في التحذير من قال:

إيَّاك أن تصطَفِي ممَّن ترى أحداً ... ولا تثقْ بامرىءٍ في حالةٍ أبدا
من عاش منفرِداً لم يأتِهِ ندمٌ ... على اتِّخاذِ صديقٍ في الأنامِ غدا

---

(١) جاء في مختار الصحاح للرازي (ص ٣٣٢): (وَتَرَهُ) حَقَّهُ يَتِرُهُ بِالْكَسْرِ (وِتْرًا) بِالْكَسْرِ أَيْضًا نَقَصَهُ.
(٢) جاء في المعجم الوسيط (١/ ٨): (الإحنة): الحقد والضغن (ج): إحن، يُقَال: إِنَّ الإحن تجر المحن.
(٣) في الغرر (٢/ ١٠٨٣):

تساوى أهل دهرك في المساوي ... فما يستحسنون سوى القبيح
وصار الناس كلهم غثاء ... فما يرجون للأمر النجيح.... إلخ،

وقد نسب الأبيات للعتّابي.

❖ ومما يدل على صِغَرِ الهمَّةِ والنفس: التلوُّنُ على الصديق المصاحب بالأمس[١]:

قال بعضهم: «لأَنْ أُبتلى بألف جموحٍ لحوحٍ؛ أحبُّ إليَّ من أن أُبتلى بمتلوِّنٍ».

وقال بعضهم: «المتلوِّن إن ودَّك لشيءٍ مَلَّكَ عند انقضائه».

وقال بعض الأعراب لولده: «يا بني لا تصحبْ من إذا أَيِسَ من خيرك مال إلى غيرك».

وقال آخر: «إذا كان لك صديق فلا تمنَّ له رفعة؛ فبقدر ارتفاعه يكون انحطاطُك من عنده».

قال بعضهم[٢]: «ولا تلتفت إلى قول حبيب بن أوس الطائي:

إنَّ الكرامَ إذا ما أيسروا ذَكَرُوا   من كان يألفُهم في المنزلِ الخشنِ

فإنّه ليس كما قال؛ فإنَّ بالرتبة تشمخُ أنفُه بعد الخسّة والضَّعَةِ،

(١) هذا العنوان من الغرر بنصّه (٢/ ١٠٩١).
(٢) والقائل مؤلِّف الغرر -باختصار- (٢/ ١٠٩٢).

ويُفرِدُ صديقَه بالبؤسِ، وإن كان من قَبْلُ قسيمه في الدَّعَةِ، ويُقابِلُ إقلاله[١] في الزيارة بالملالَةِ، ويَعُدُّ معرفتَه عثرته، لا يرجو لها من إقالة، **وخُذْ بما قال بعضهم:**

إذا رأيت امرأً في حال عُسْرَتِهِ صافي المودَّة ما في وُدِّهِ دغلُ
فلا تَمَنَّ له حالاً يُسَرُّ بها فإنَّه بانتقالِ الحالِ ينتقلُ[٢]

وكان **منصور يقول**[٣]: «**ألَمْ يقل بعض البلغاء الحكماء: لا تطلبنَّ لأخيك رتبةً هي أرفعُ من رتبته التي هو مساويك فيها؛ فإنَّه ينتقل عنك في أحوال ثلاثة: يكون صديقَك يوم حاجته إليك، ومعرفتَك عند استغنائِه عنك، وعدوَّك حال احتياجِك إليه**».

وقيل لبعض الولاة: كم لك من صديقٍ؟

فقال: أمَّا في حال الولاية فكثيرٌ، **ثم أنشد:**

النَّاسُ إخوانُ من دامت له النعم والويل للحرِّ إن زلَّت به القدم

ولمّا نُكِبَ علي بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه أحداً[٤] من

---

(١) في الغرر: «إقباله».
(٢) في الغرر نسب الأبيات للفقيه منصور بن إسماعيل بن عمر المصري.
(٣) في الغرر: «وكأنَّ منصوراً ألمَّ بقول بعض البلغاء: لا تطلبنَّ» إلخ، ومنصور هو قائل البيتين أعلاه.
(٤) كذا في المخطوطة والغرر، والصواب: أحدٌ.

أصحابه وآله الملازمين له في حال تصرّفه واشتغاله، فلما رُدَّت إليه الوزارة اجتمعوا وكل منهم يأخذ السَّبْقَ لِلُقْياه، والنظرَ إلى محيَّاه، فحين رآهم كذلك أنشد قولَ أبي العتاهية:

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبِها[1] فكيفَ ما انْقَلَبَتْ يومًا به انقلبوا
يعظِّمون أخا الدنيا فإنْ وَثَبَتْ عليه يومًا بما لا يُشتهى وَثَبُوا

وعادى الزمانُ بعضَ الوزراء، فنظر بعينِ المقتِ إليه، وقبضَ عنه المسرَّات بيدِ القبضِ عليه، ثم عاد فألبسه من الإقبال حُلَلاً، أَجَرَّه أذيالَها، وصرف لخدمتِهِ النفوس بأزمَّة الانقياد، فحمّلها أعباءَ المِنَنِ وأثقالَها، فقال يُعاتب من انقطع عنه في خموله، ويُشْعِرُهُ بأنَّ نجمَ سعدِه قد طلع [بعد][2] نجم أفوله:

عاداني الدهرُ بعضَ شهرٍ وأعرض النَّاسُ عنّي ثُمَّ بانُوا
يا أيُّها المُعْرِضون عَنِّي عُوْدُوا فقد عاود[3] الزَّمان

---

(١) تكرر هذا الشطر في المخطوطة.
(٢) يقتضيها السياق، وهي في الغرر.
(٣) في المخطوطة: «عاد»، والتصويب من الغرر (٢/ ١٠٩٦).

❖ ومن ذميم فِعْلات الأخلَّاء الخُوَّان: **اغتياب من غاب من الإخوان**(١):

فإنّهم قالوا: الأخ الصادق من أهدى إلى أخيه عَيبه، وحفظ له غَيبه، وشر الإخوان من إذا وجد مادحًا مدح، وإن وجد قادحًا قدح، وإن اسْتُودع سراً فضح.

وقال **الغمري المصري**:

اصحب من الإخوان من ودّه   أصفى من الياقوت والجوهرِ
ومن إذا سِرَّك أودعته   لم يُظهر السرَّ إلى المحشرِ
ومن إذا غبتَ عن عينه   أقلقه الشوق ولم يصبر(٢)

واغتاب رجل رجلاً عند مسلم بن قتيبة فقال له: **مَهْ، فلقد تلمَّظْتَ بمضغةٍ طالما عافَتْها الكرامُ**.

وقال الوزير المقري(٣):

أيّ شيء يكون أقبح مَرْأى   من صديقٍ يكون ذا وجهين
مِن ورائي يكون مثل عدوِّي   وإذا نلتقي يُقبِّل عَيني

(١) وهذا العنوان من الغرر (٢/ ١٠٩٦)، لكن بدل الأخلاء: الإخوان.

(٢) ترياق المحبين لعبد الرحمن الواسطي الشافعي، ص٦٢، وقد نسبها لأحمد الرفاعي.

(٣) كذا في المخطوطة، وفي الغرر (٢/ ١٠٩٩): «الوزير المغربي»، وهي كذلك انظر: الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي لإحسان عباس، ص١٥٨.

وأنشد **النظام الحنبلي**:

كُلّ مَنْ أَصْبَحَ فِي دَهْـــرِك مِمَّنْ قَدْ تَرَاهْ
هُوَ مِنْ خَلْفِكَ مِقْرَا ضٌ وَفِي الْوَجْهِ مِراةٌ(١)

وأنشد قاضي القضاة **البساطي المالكي**:

لِقَاءُ أكثرِ من لاقيت أوزارُ(٢) فَلَا تبالِ أصدُّوا عَنْك أَو زاروا
لهم لديك إِذا جاؤوك أوطارُ(٣) فَإِن قضوْها تنحّوا عَنْك أَو طاروا
أخلاقهم فَتَجَنَّبْهُنَّ أوعارُ(٤) وَوَصلُهُمْ مَأثمٌ لِلمرءِ أَوْ عَارُ(٥)

و**لعبد القاهر الجرجاني**:

أرى النَّاسَ من داناهمُ هَانَ عندهمْ
وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا(٦)

(١) وفي المخطوطة:

كلما تقع عليه عينك أو تراه
فهو خلفك مقراض وفي وجهك مرآة.

والمثبت من العزلة للخطابي منسوبة لمنصور بن إسماعيل (ص١٦٢)، وهو الصواب.

(٢) في المخطوطة: «أوزاروا».

(٣) في المخطوطة: «أوطاروا»، والوطر: الحاجة، وجمعه: أوطار، انظر: مختار الصحاح، ص٣٤١.

(٤) في المخطوطة: «أخلاقهم تجنبهم أو عاروا»، والتصحيح من المراجع.

(٥) في المخطوطة: «توصلهم مأثم للمرء أو عاروا»، والتصحيح من المراجع.
انظر: يتيمة الدهر للثعالبي (٤/ ٣٧٠)، والمنتظم لابن الجوزي (١٤/ ٢٣٢) وهي منسوبة فيهما لأبي الفتح البستي.

(٦) هذا البيت للقاضي علي بن عبد العزيز الجُرجاني كما في المراجع، انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي، ص٨٣.

وللحافظ أبي عبدالله الحميدي صـــاحـب الجمع بين الصحيحين:

لقاء الناس ليس[١] يفيد شـيئًا   ســوى الهذيانِ من قيلٍ وقال
فَـأَقْلِـلْ عن لقـاء النـاس إلا   لأخذ العلمِ[٢] أو لصلاحِ حال[٣]

ولبعضهم:

رأيـتُ[٤] الـنَّـاسَ قـد مـالُـوا   إلـــى مـــن عــنـــده مـــالُ
ومـــن لا عـــنـــده مـــال   فـعـنـه الـنـاس قـد مـالـوا[٥]

ولحجّة الإسلام الغزالي:

اسمع وصـاتي فإنْ تقبلْ حظيتَ بها
وإن تُخـالِفْ فقـد أزرى بـك الخُلْف
ولا يـغـرنـك جـهّـالٌ أتـوك بـمـا
تَجْني مُحَـالاً وَمَيْنـًا بـاطِلاً هَرِفُوا[٦]

---

(١) في المخطوطة: «لا»، والتصويب من المرجع.
(٢) في المخطوطة: «علم»، والتصويب من المرجع.
(٣) الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض)، ص١٣٧.
(٤) في المخطوطة: «أَرى»، والتصويب من المرجع.
(٥) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن لأحمد اليمني الشرواني، ص٢١٧.
(٦) الإملاء على مشكل الإحياء، ص١٢٦، والهرف كالهذيان، ومنه قولهم: «لا تهرف بما لا تعرف»، انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد ٤/ ٤٥، والمَيْنُ: الكَذِبُ، انظر: المرجع السابق: ٨/ ٣٨٨.

ولبعضهم:

لقد كان حسن الظن من بعض مذهبي

فـأدَّبـنـي هـذا الـزمـان وأهـلـه

وما كلُّ شـخصٍ سـاءني منه قوله

مِن النَّـاس إلا سـاءني منه فعلـه[١]

ولبعضهم أيضًا:

أسـأتُ إذ أحسـنتُ ظنّي بكم والحزمُ سـوءُ الظنِّ بـالنَّـاسِ

من أحسـن الظن بأعدائه تـجـرَّعَ الـموتَ بـلا كـاسِ[٢]

ولأبي ياسر الحمامي البغدادي:

أحوجني الـدَّهر إلى معشـرٍ ما فيهمُ للخير مسـتمتَعُ

إن حَـدَّثوا لـم يفقهوا لفظـةً أو حُدِّثوا ضَجُّوا فلم يسمعوا[٣]

---

(١) في الغرر (١/ ١١٦):

وأكثـر مـن تلقى يسـرُّك قـولهُ ولكنْ قليـلٌ مـن يسـرُّك فعلُه

وقد كان حسنُ الظنِّ بعض مذاهبي فأدَّبني هـذا الزمـانُ وأهلُه.

(٢) أنس المنقطعين لعبادة رب العالمين للمعافى بن إسماعيل (٢/ ١٤٢)، وفي الغرر (١/ ٣٢٢) البيت الأول منه.

(٣) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (١٩/ ٤٨٧).

وقال **الربيع بن خيثم**: «**تعلّموا العلم فإذا تعلمتم فاعتزلوا**»(١).

وقال **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**لولا مخافة الوسواس لدخلت بلاداً لا أنيس بها، وأقمتُ بها حتى ألقى الله تعالى، فما يفسد الناس إلا الناس**»(٢).

ولقي رجلٌ **عروة بن الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو مستعجل فقال له: إلى أين؟، فقال: «**أُريد أخًا أتبصّر به بعض شأني**»، فقال: «**تلك ضالة لا توجد**»(٣).

وقال بعضهم:

أَنِسْتُ بوحدتي ولزمتُ بيتي ... فطاب العيش لي ونما السرور
وأدّبني الزمانُ فصرتُ فردًا ... وحيداً(٤) لا أُزار ولا أَزور(٥)

---

(١) قال العجلوني (كشف الخفاء: ١/ ٣١٠): «تَفَقَّه ثم اعتَزِلْ» قال النجم: ليس بحديث، وإنَّما نقله في الإحياء عن النخعي، ورواه أبو نعيم الأصبهاني عن الربيع بن خيثم، ورواه أحمد في الزهد عن مُطَرِّف أنه قال: «تفقَّهوا ثم اعتزلوا وتعبدوا».

(٢) مداراة الناس لابن أبي الدنيا ص ١٠٤، ولا يصح؛ ففي إسناده رجل لم يسمَّ.

(٣) لم أجده عنه، وإنَّما عن سفيان الثوري، انظر: مسند ابن الجعد ص ٢٧٩، وعن غيره أيضًا كما في بعض المراجع.

(٤) «وحيداً» سقطت من المخطوطة، وهي مثبتةٌ في المرجع.

(٥) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (١٢/ ٣٦٤).

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب:

إِنْ صــحبنا الملوكَ تاهوا علينا ... واستخفّوا كِبْراً بحَقِّ الجليسِ
أو صحبنا التُّجّار صِرْنا إلى البؤ ... سِ وعُدْنا إلى عِداد الفُلوسِ
فَلَزِمنا البيوتَ نســتخرجُ العِلْ ... مَ وَنَمْلَا بِـه بُطون الطُّرُوسِ(١)

وقال الصلاح الصفدي في كتابه الوافي أنّه قال تقي الدين بن دقيق العيد:

قـد جـرحـتْـنـا يـدُ أيّـامـنـا ... ولـيـس غـيـر الله مـن آسِ
فـلا تُـرَجِّ الـخـلـق في حـاجـةٍ ... ليســوا بأهلٍ لِســوَى الياسِ
ولا تزد شــكوى إليهم فلا ... معنى لشــكواك إلى قـاسِ
وإن تـخـالـطْ منهمُ مَعْشَــراً ... هويتَ في الدين على الراسِ
يـأكـل بعضٌ لحمَ بعضٍ ولا ... تحســب في الغيبة من باسِ
لا ورعٌ في الدّين يحميهمُ ... عنهـا ولا حشــمة جُلّاسِ
لا يـعـدم الآتـي إلـى بـابـهـم ... من ذلّة الكلب ســوى الخاسِ
فـاهرب من النـاس إلى ربهم ... لا خير في الخلطة في الناس(٢)

---

(١) جامع بيان العلم وفضـله لابن عبد البر (٢/ ١٢٢٧)، والطروس: جمع الطرس وهو الصحيفة، انظر: أساس البلاغة للزمخشري (١/ ٦٠١).
(٢) الوافي بالوفيات للصفدي (٤/ ١٤٥).

وقال فيه أيضًا في ترجمة محمد بن عمر العلاف أبي بكر اللغوي النحوي:

إذا شئتَ أن تبلو مودةَ صاحب بواطنُه مطويَّةٌ عن ظواهره
فقِسْ ما بعينيه إلى ما بقلبه تَجِدْ خطراتٍ من خفيِّ سرائره
فكل خليلٍ ماذق في مناظره إليك دليل مخبِرٌ عن ضمائره(١)

ولأبي جعفر محمد بن القاسم الوزير:

ألم ترَ أنَّ ثقاتِ الرجال إذا الدهرُ ساعَدَه ساعدوا
وإنْ خانَهُ دهرُهُ أسلمُوه ولم يبقَ منهم له واحدُ
ولو علمَ الناسُ أنَّ المريضَ يموتُ لما عاده عائد(٢)

وكتب محمد بن معن المعتصم التجيبي إلى ابن عمار يعاتبه:

وأزهدني في الناس معرفتي بهم
وطولُ اختباري صاحبًا بعد صاحب
فلم تُرني الأيامُ خِلًّا يسرُّني
مباديه إلا ساءني في العواقب

---

(١) المرجع السابق (٤/ ١٧٠)، مذق اللَّبن وَالشراب بِالْمَاءِ مذقًا مزجه وخلطه فهو ممذوق ومذيق، وماذق فلانًا فِي الود لم يخلص له الود، انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٨٥٩).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٢٤١).

ولا صـــرتُ أرجوه لـدفع مـلـمَّـةٍ

من الـدهرِ إلا كـان إحـدى النوائـب

فأجــابه بقولـــه:

ســواك يعي قولَ الوُشـــاة من العِدى

وغيرك يقضـــي بـالظّنون الكـواذبِ

ولو أنَّ دهري ســـاعَـدَتْني صــروفُـهُ

ركبـتُ إلى مَغْنـاك هوج الركـائـب

وقـبَّـلـتُ مـن يُـمْـنـاكَ أعـذبَ مـوردٍ

وأدَّيـتُ مـن رؤيـاك آكـدَ واجـبِ[١]

وقال محمد بن المفضل الأصبهاني:

لا تـركـنـنَّ إلى الـبريـة كـلِّهـا   واحذرْ تغيُّرَها على[٢] أحوالها

فـمتى أحبـك واحـدٌ لـمـلـمَّـةٍ   زالت[٣] محبتُه بقدر[٤] زوالها

---

(١) المرجع السابق (٥/ ٤٦).

(٢) في المخطوطة: «عن»، والتصويب من المرجع.

(٣) في المخطوطة: «زلت»، والتصويب من المرجع.

(٤) في المخطوطة: «بعد»، والتصويب من المرجع.

وله أيضًا:

بـيـنـي وبـيـن مُـعـانـدي ما لا يـزول بـغـيـر شـك
كـعـداوةٍ لا تـنـقـضـي بـين الـبـهـارج والـمـحـك[١]

وللحسن بن علي بن محمد بن باري الكاتب أبي الجوائز الواسطي:

دَعِ الناس طُرًّاً واصرف الودَّ عنهم
إذا كنت في أخلاقهم لا تُسامح
ولا تبغِ من دهرٍ تظاهر رنقُهُ[٢]
صفاءَ بنيهِ فالطباع جوامح
وشيئان معدومان في الأرض: درهمٌ
حلالٌ وخِلٌّ في المودّة ناصح[٣]

و**لبعضهم**:

مَن[٤] مَلّنِي فليمضِ عني راشداً
فمتى عرضتُ له فلستُ براشد

---

(١) المرجع السابق (٥/ ٥١).
(٢) جاء في العين للخليل (٥/ ١٤٤): «وفي عيشه رَنَقٌ أي كَدَرٌ».
(٣) المرجع السابق: (١/ ٣٤٩ و١٢/ ١٢٠).
(٤) في المخطوطة: «وَمَن»، والتصويب من المرجع.

ما ضـــاقت الـدنيا عليَّ بـأســرها
حــتــى تــراني راغــبــًا في زاهــد[١]

وعن أبي الحسن الأخفش عن الخليل بن أحمد أنّه قال: «إنّما كنتُ ألقى من الناس أربعة: رجلاً أعلم مني فهو يوم فائدتي، أو رجلاً مثلي فهو يوم مذاكرتي، أو رجلاً متعلِّمًا[٢] فهو يوم ثوابي وأجري، أو رجلاً دوني يرى أنه فوقي فذلك الذي لا أنظر إليه»[٣].

وقال معاوية لصعصعة بن صوحان: «صف لي الناس»، فقال: «خلق الله الناس أطواراً، فطائفة للعبادة، وطائفة للسياسة، وطائفة للفقه والسنة، وطائفة للبأس والنجدة، ورجرجة بين ذلك يغلون السّعر ويكدّرون الماء»، قال صاحب كتاب شعلة القابس ودرة الغائص[٤]: «أصل

(١) المرجع السابق: (١٣/ ١٩٤).
(٢) في المرجع: متعلمًا مني.
(٣) شعب الإيمان للبيهقي (١٦١٧)، ومن طرائف إسناده أنَّه مسلسل بأئمة النحو.
(٤) للشيخ أبي القاسم عبيد الله بن أحمد بن دارس البردسيري، انظر: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني (٢/ ٩٧٥).

الرِّجرِجة: الماء الكدر الذي يبقى في أسفل الحوض والنهر(١)، وسمعتُ فيه زيادة وهي: يضيقون الطريق»(٢).

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من السلطان، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾(٣) من السفلة(٤).

وأُتِيَ **علي** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ برجلٍ في جناية، فرأى ناساً يعدون خلفه، فقال: «**لا مرحباً بوجوه لا تُرى إلا عند كل سوء**»(٥).

وقال **عمر بن عبد العزيز**: «**ما لله** عَزَّوَجَلَّ **على العاقل نعمة بعد الإسلام أفضل من مباينة العامة بالفهم والعقل**»(٦).

---

(١) قال أبو عبيد الهروي (الغريبين في القرآن والحديث: ٣/ ٧١٦): «كلام العرب الرجرجة -بكسر الراءين- وهو: بقية الماء في الحوض، المنكدرة: المختلطة بالطين لا يمكن شربها، ولا يُنتفع بها... قال شمر: رذالة الناس، يقال: رجراجة من الناس ورجرجة، وقال الكلابي: هم الذين لا عقول لهم».

(٢) انظر: الأمالي لأبي علي القالي (١/ ٢٥٧).

(٣) سورة الأنعام:٦٥.

(٤) هذا مما يُؤثر عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، انظر تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم لهذه الآية.

(٥) محاضرات الأدباء للأصهفاني (١/ ٣٧٦).

(٦) المرجع السابق (١/ ٣٧٥).

وقال النبي ﷺ: «نعوذ بالله من قوم إذا اجتمعوا غلبوا، وإذا تفرقوا لم يغلبوا» يعني الغوغاء، وروي: «لم يعرفوا»(١).

وقال النبي ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً آنسه بالوحدة»(٢).

وقال معاوية للأحنف: «صف لي الناس»، فقال(٣): «رؤوسٌ رفعهم الحظ، وأكتافٌ عظَّمهم التدبير، وأعجازٌ شهرهم المال، وأذنابٌ ألحقهم الأدب؛ ثم الناس بعدهم(٤) أشباه البهائم، إن جاعوا ساموا(٥)، وإن شبعوا ناموا»(٦).

وقال لصعصعة بن صوحان: «صف لي الناس»، فقال: «فارسٌ يذبُّ عن البيضة، وزارع يسعى في العمارة، وعالم يشتغل بالديانة، ورِجرِجة بين ذلك تكدّر الماء وتغلي السعر»(٧).

---

(١) المرجع السابق (١/ ٣٧٥)، ولم أجده عن النبي ﷺ وإنما يُنسب لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلا إسناد، انظر: أنساب الأشراف للبلاذري (٢/ ١١٥).

(٢) لم أجده عن النبي ﷺ، وإنما هو من قول بعض الحكماء، قال عبد الكريم القشيري (الرسالة القشيرية: ١/ ٢٢٦): «وقيل: إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة، وأغناه بالقناعة، وبصَّره بعيوب نَفْسه، فمن أُعطي ذلك فقد أُعطي خير الدنيا والآخرة».

(٣) سقطت: «فقال».

(٤) في المخطوطة: «بعده».

(٥) في مختار الصحاح للرازي (ص ١٥٨): «وسامت الماشية أي: رعت».

(٦) محاضرات الأدباء للأصفهاني (٢/ ٣١).

(٧) الحكمة الخالدة لأبي علي مسكويه ص٢١٤.

ونُقل عن **الشافعي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: «لو كان العوام غلمانًا لي ما ارتضيت بهم»(١).

وقال **أبو العباس الروياني**: «الغوغاء من يخالط المفسدين والمجرمين، ويخاصم الناس بلا حاجة»(٢).

وقال **تقي الدين الحصني**: «العامة تُبّاع الدّجال، يميلون مع كل ريح»(٣).

وأنشد بعضهم فيهم:

ولو شاءَ ربِّي خصَّهمْ بثلاثةٍ(٤) ... قرونٍ وآذانٍ وشقّ حوافرِ(٥)

وللشيخ **عبد العزيز الديريني**:

إذا ما مات ذو علمٍ وتقوى(٦) ... فقد ثُلمت من الإسلام ثلمة

---

(١) الغيث المسجم في شرح لامية العجم للصفدي (٢/ ١٨٢).
(٢) حياة الحيوان الكبرى للجاحظ (٢/ ٢٦٣).
(٣) دفع شبه من شبّه وتمرّد، ص٦.
(٤) في المخطوطة: «ولو شا ربّك لاختصهم بثلاثة»، والتصحيح من المرجع.
(٥) قال جمال الدين القاسمي (جمال الدين القاسمي وعصره لابنه ظافر، ص٩٥): «وحضر في غيابي عبد الوهاب أفندي وسليم أفندي الجزائري، فراجعوا من عندنا مجاميع خطية، وصادفوا في إحداها بيتين نقلوهما، وهما:

بُلينا بقومٍ كالبهائم لم يعوا ... أراذل خلقٍ في صفات أكابر
ولو شاء ربِّي خصّهم بثلاثةٍ ... قرون وأذناب وشقِّ حوافر

(٦) في المخطوطة: «إذا مات ذو علم وتقى»، والتصحيح من المرجع.

ومَوتُ العادلِ الملكِ المولَّى(١) لحكمِ الحقِّ منقصةٌ وَفَصْمَةٌ(٢)
وموت فتى كثير الجود محلٌ(٣) فإنَّ بقاءَه خصبٌ ونعمة
وموت الفارسِ الضرغامِ وَهْنٌ فكمْ شُهِدَتْ له في النَّصرِ عزمة
وموت الصالحِ المرضيِّ نقصٌ ففي مَرآه للأسرارِ نسمة
فَحَسْبُكَ خمسة يُبكى عليهم وموت الغير تخفيفٌ ورحمة(٤)

ولبعضهم:

كلُّ البلادِ عدوُّها سفهاؤها وبلادُنا أعداؤها فقهاؤها
كتبوا الحديثَ فصيّروه تجارةً فهم الولاة لها وهم أمراؤها
كيف احتيالي في طِلاب ظلامة والخصمُ مردودٌ إليه قضاؤها(٥)

ولبعضهم:

إذا شئتَ أنْ تبكي فقيداً من الوَرَى
وتندبَهُ بعدَ النبيِّ المكرَّم

---

(١) في المخطوطة: «وموت ذي الملك المرجَّى»، والتصحيح من المرجع.
(٢) الفَصْمُ: الكسر.
(٣) في المخطوطة: «نحلا»، والتصحيح من المرجع.
(٤) بهجة المحافل للعامري الحرضي، ص٢٦٨.
(٥) من مجالس أبي سعيد النقاش برواية أبي مطيع الصحاف، ص١١.

فحامل علمٍ ناصح متواضع
حريص على التعليم للمتعلِّم
وحاكم[١] عدلٍ للشريعةِ قائم
يحيى بحكم الله لا بالتحكُّم
وجامع أموالٍ على وجه حلِّها
يجود بها فضلاً على كلِّ مُعدم
وساهر ليلٍ جائع متشفِّع
لكلِّ نؤوم شابع متبشِّم[٢]
وحامل سيفٍ للعدوِّ محارب
يُسَدُّ به في كلِّ ثغرٍ مُثَلَّم
فهم خمسةٌ يُبْكَون حقّاً وغيرهم
إلى حيث ألقت حملها أمُّ قشعم[٣]

(١) في المخطوطة: «حاكم»، والتصحيح من المرجع.
(٢) جاء في مختار الصحاح (ص٣٥): الْبَشَمُ: التُّخمَةُ، يُقَالُ: بَشِمَ مِنَ الطَّعَامِ، وَأَبْشَمَهُ الطَّعَامُ.
(٣) في المخطوطة: «إلى حيث ألقت رجلها أم مشعم»، والتصحيح من المرجع: قلائد الجمان للمبارك الموصلي (٣/ ٢٨٠).
وقوله في آخر بيت: «إلى حيث ألقت حملها أمُّ قشعم»، هو الشطر الثاني من معلقة زهير ابن أبي سلمى ولفظه: «لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ»، انظر ديوانه: ص٦٩، و(أم قشعم) هي المنيّة أو الحرب، ويُستعمل هذا الشطر في الدعاء على الغائب ألّا يرجع، وانظر في قصة هذا البيت الذي جرى مثلاً: خزانة الأدب للبغدادي (٧/ ١٥).

وقال **الأسـدي** في تاريخه في ترجمة محمد بن محمد بن جعفر بن لنكك البصري النحوي الشاعر:

لا يخدعنْكَ اللِّحى ولا الصُّور ... تسعة أعشارِ من ترى بقر
في شجر السرو منهمُ شَبَه ... له رُوَاء وما له ثمر[١]

فائدة: حدّث أبو جعفر الشيباني فقال: أتانا يومًا أبو ميّاس الشاعر ونحن جماعة فقال: ما أنتم فيه؟ قلنا: نذكر الزمان وأهله وفساده، فقال: كلا، إنَّما الزمان وعاء، وما أُلقي فيه من خير وشرّ كان على حاله، ثم أنشأ يقول:

أرى حللاً تصان على أناس ... وأخلاقًا[٢] تُذالُ ولا تُصَان
يقولون الزمان به فساد ... وهم فسدوا وما فسد الزمان

ذكر ذلك **الحافظ ابن ناصر الدين** في مسودة توضيح المشتبه له[٣].

وقيل **لأحمد بن يحيى**: «تَوَحَّشْتَ من الناس جدّاً، فلو

---

(١) شعر ابن لنكك البصري، ت: د. زهير غازي زاهد، ص: ٤٥، وتتمته:

تراهمُ كالسَّحابِ منتشراً ... وليس فيه لطالبٍ مطر.

(٢) في المخطوطة: «وأخلاق»، والتصحيح من المرجع.

(٣) (٨/ ٣١١)، وتذال أي: تُهان.

تركتَ لزوم البيت فبرزت للناس ينتفعون بك، وينفعك الله بهم، فسكت ساعة ثم أنشأ يقول:

إن صـــحبنا الملوك تاهوا علينا　　واستخفوا كِبْراً[(١)] بحق الجليس
أو صحبنا التجار صرنا إلى البؤ　　س وعـدنـا إلى عـداد الفلوس
فلزمنـا البيوت نســتخرج العلـ　　ـــم ونملا به بطون الطروس[(٢)]

وما أحسن قول **أبي العتاهية** في الناس:

فَيَا[(٣)] ربِّ إنَّ النَّاسَ لا ينصفونني　　فكيف وإنْ أنصــفتُهم ظلمُوني
وإنْ كان لي شيءٌ تصدّوا لأخذِه　　وإنْ جئتُ أبغي شيئَهم منعونِي
وإنْ نالهم بذلي فلا شُكْرَ عندهم　　وإنْ أنا لم أبذلْ لهم شــتموني
وإن طَرَقَتْني نَكبـةٌ فَكِهوا بهـا　　وإنْ صــحبَتْني نعمةٌ حسـدوني
ســأمنع قلبي أن يَحِنَّ إليهـم　　وأحجب عنهم ناظِري وجفوني[(٤)]

---

(١) في المخطوطة: «كبر»، والتصحيح من المرجع.
(٢) تقدَّمت الأبيات.
(٣) في المخطوطة: «يا»، والتصحيح من ديوانه.
(٤) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ١٩٧، وانظر ديوان أبي العتاهية، ص٤١٥ – على اختلاف بعض الألفاظ-.

تم بحمد الله